# الفقه العظيم

## من

# وصايا لقمان الحكيم

تأليف

علي بن سالم بن يعقوب باوزير

من منشورات المركز العلمي والدعوي بحضرموت ـ غيل باوزير ـ معيان الشيخ
منشوراتنا تطلب من مكتبة القدس ـ ومركز القمة بغيل باوزير

# ( آيَاتُ الْقُرْآنِ فِيْ بَيَانِ قِصَّةِ لُقْمَانَ )

بسم الله الرحمن الرحيم

**قال الله تعالى :**

﴿ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [ سورة لقمان ] .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله، حده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: فإنه لا يخفى على مسلم ولا مسلمة أن أحسنَ الكلامِ كلامُ الله، و أعدلَ القولِ قولُ الله، وأصدقَ الحديثِ حديثُ الله كما قال تعالى: ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ وقال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾، وقال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا﴾ وقال تعالى: ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾.

وعليه فلا غرابة أن يكون أفضلَ ما شُغِلتْ به الأوقات، وبُذِلَتْ فيه الجهود، بل وأُنْفِقَتْ فيه نفائسُ الأموالِ هو الاشتغالُ بكتاب الله الكريم، قراءةً وتعلماً وتعليماً، ولهذا قال النبي ﷺ: ( خيركم من تعلم القرآن وعلمه ) رواه البخاري، ومع هذا الفضل، وتلك الخيرية تجد أن أكثر الناس عن هذا الخير لمعرضون، تجدهم يمضون الساعات الطوال في القيل والقال، والجلسات الفارغة، التي لا تعود عليهم بنفع لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل ربما تعود عليه بالضرر فيهما، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الإخوة الكرام: لقد قصَّ الله تعالى على عباده في القرآن الكريم قَصصاً كثيرة ، وليس الغرضُ من هذه القصص مجردَ الخبر، أو التسليةَ وإضاعةَ الوقت، كما هو الشأن في غالب قصص الناس. ولكن الله . جل وعلا . يقصُّ على عباده أحسن القصص، وأكمله وأنفعه، كما قال تعالى: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾، وما ذلك إلا لما اشتمل عليه هذا القصص من تهذيب النفوس البشرية، وتزكيتها والرقي بها إلى الدرجات العلية، ويضمن لها الصلاح في الدنيا، والفوز والنجاح في الأخرى. فهي وإن كانت في ظاهرها قصصا لأمم وأفراد قد خلوا في القرون الماضية، إلا أنها تعالج واقعا يتكرر في جميع القرون، فترشد إلى أقوم الطرق، وأعدل السبل، كما قال الله تعالى: ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾.

وموضوع لقائنا هذا هو: [ مع وصايا لقمان الحكيم لابنه ] [1].

أيها الإخوة الفضلاء: لقد اصطفى الله جل وعلا من عباده رسلا، فأكرمهم بالنبوة، واختار من عباده أولياء، فأكرمهم بالحكمة ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾.

ومن هؤلاء العباد ـ الذين أكرمهم الله تعالى بالحكمة ـ رجل من الأمم الماضية اسمه : ( لقمان ) ويلقب بالحكيم، ذكروا أنه كان عبدا حبشيا، أسود اللون، أفطس الأنف، كبير المشافر، كان يعمل نجَّارا، والله تعالى أعلم بصحة ذلك، وليس هذا بالأمر المهم، الذي يجعلنا نتكلف البحث عنه، وإنما المهم في ذلك هو ما ذكره الله عنه في هذه الآيات الكريمات، وما تضمنته من الثناء عليه، والإشارة إلى بعض ما أكرمه الله به من الحكمة وفصل الخطاب، كل ذلك ليتأسى العباد بأمثال هؤلاء، فيجعلونهم أسوة حسنة لهم، فيقتدون بهم في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم، في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وآدابهم وأخلاقهم.

أيها الإخوة الكرام: إن ولاية الله تعالى للعبد مطلب عزيز، ومكسب عظيم، ينبغي أن يحرص عليه العقلاء، ويتنافس فيه الفضلاء. وذلك لأن فيها السعادة الأبدية، والحياة الهنية في الدنيا قبل الآخرة.

إن ولاية الله تعالى للعبد معناها محبته له، ونصرته إياه على أعدائه، وتوفيقه له في أمور دينه وآخرته، كما قال تعالى في الحديث القدسي: ( من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه ) رواه البخاري.

ومعنى ذلك: أن الله تعالى يسدد جوارحه، ويوفقه لاستعمالها وتسخيرها فيما يحبه ربه ويرضاه، فلا يسمع، ولا يبصر إلا ما فيه الخير، ولا يستعمل يده ورجله إلا فيما فيه نفعه وصلاحه.

---

[1] أصل هذه الرسالة محاضرة ألقيت بمسجد ( باهارون ) بغيل باوزير.

وولايته تعالى لا تنال بالدعاوي الفارغة، ولا بالأشكال الخادعة، فليست هي بطأطأة الرؤوس، وإظهار المسكنة والخشوع، ولا بطول الأكمام وعرضها، ولا بطول العمائم وكثرة لِيّها، ولكنها بأمرين اثنين لا ثالث لهما، وهما: الإيمان والتقوى، فمن كان مؤمنا تقيا كان لله وليا، كما قال تعالى: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾، فبالإيمان الصادق، والعمل الصالح، تنال الولاية في الدين.

فإن قيل: وهل يمكن للعبد أن يكون من أولياء الله، لا سيما في هذا الزمن، الذي انتشرت فيه المنكرات، وكثرت فيه الفتن ؟

فالجواب عن ذلك: نعم يمكن، وفضل الله واسع، وإن كان ذلك قليلا في القرون المتأخرة، وكثيرا في القرون المتقدمة، كما قال تعالى: ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴾. فمن أراد أن يكون من أولياء الله المقربين؛ فليجتهد في تحقيق ذينك الوصفين المتقدمين، ألا وهما: الإيمان والتقوى.

نعود إلى موضوع لقائنا هذه الليلة وهو: [ مع وصايا لقمان الحكيم لابنه ]، يخبر الله تعالى في هذه الآيات الكريمات عن بعض ما أنعم به على عبده ووليه ( لقمان ) عليه السلام فيقول:

﴿ ولقد آتينا ﴾ أي أعطينا ﴿ لقمان ﴾ هو لقمان الحكيم، وقد اختلف في نبوته، والجمهور على أنه ليس بنبي، ولكنه عبد من عباد الله الصالحين، وولي من أولياء الله المتقين، والبحث عن نسبه ومكانه وزمانه وعمله ووصفه .كلونه وأنفه ومشافره مما أبهمه القرآن والسنة . لا فائدة فيه.

أعطاه الله جل وعلا ﴿ الحكمة ﴾ وهي: العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، وجماعها أمران: العلم النافع، والعمل الصالح.

ولما أعطاه الله هذه النعمة العظيمة أمره بشكرها، كما هي سنته تعالى مع خلقه، ليبارك له فيها، ويزيده من فضله، فقال تعالى: ﴿ أن اشكر لله ﴾، وشكر الله تعالى هو: الاعتراف له بالنعمة، والاجتهاد في القيام بطاعته، واجتناب معصيته، والفرق بين الشكر

والحمد من وجهين: الأول: أن الحمد خاص باللسان، والشكر يكون بالقلب والجوارح واللسان، كما قال تعالى: ﴿ اعملوا آل داود شكرا ﴾، وقال: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ والثاني: أن الشكر يكون في مقابل نعمة، تقول: شكر الله على هدايته للإسلام، ولا يقال: شكر الله لجماله، بخلاف الحمد فإنه يكون مطلقا في مقابل نعمة وفي غيرها، فيقال: حمد الله على نعمة الإسلام، كما يقال: حمد الله لما له من أوصاف الكمال والجلال.

قال بعض العلماء: الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه، وأن لا يستعملها فيما يكره. فهذه الخمس هي أساس الشكر، ومداره عليها، فإن عدمت منها واحدة اختل الشكر.

## ( عَاقِبَةُ الشُّكْرِ وَالْكُفْرِ )

ثم بين تعالى عاقبة الشكر ومآل الكفر فقال: ﴿ ومن يشكر ﴾ أي يشكرِ الله تعالى بالاعتراف له بالنعمة، واستعمالها في طاعته ومرضاته. ﴿ فإنما يشكر لنفسه ﴾ أي فهو في الحقيقة إنما يشكر لنفسه؛ لأن عاقبة شكره وفائدته تعود لنفسه هو، لا لربه تعالى، فإن الله تعالى يجزل له الثواب، وينجيه من شديد العذاب، وأليم العقاب، كما قال تعالى: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾، وقال: ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾، وقوله: ﴿ ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ﴾، وقال: ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ أي عليها . كقوله تعالى: ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾.

ثم قال: ﴿ ومن كفر ﴾ وذلك بعدم القيام بالشكر، فجعل مقابل الشكر الكفر، فهو إذاً ضده، ويكون الكفر بالتنكر لنعمة الله، وترك طاعته، والخوض في معصيته، كما قال تعالى: ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾، وقال: ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾.

والكفر كما يطلق على الأكبر يطلق على الأصغر، وهو المعاصي، فكلها شعب للكفر، كما أن الطاعات شعب للإيمان، قال النبي ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) متفق عليه، وقال: ( اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت ) روا مسلم، ويطلق على كفران النعمة، كما في قول النبي ﷺ للنساء: ( تصدقن ولو من حليكن، فإني رأيتكن أكثرَ أهل النار. قلن بم يا رسول الله ؟ قال: تكفرن. قلن نكفر بالله؟ قال: تكفرن العشير، يحسن إلى إحداكن الدهر، فإذا رأت منه شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط ) متفق عليه.

﴿ فإن الله غني ﴾ أي عن كل شيء، كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾، وقال: ﴿ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ﴾، والمعنى: ومن كفر نعمة الله فإنما أساء إلى نفسه، لأن الله تعالى يعاقبه على ذلك، وهو سبحانه غني عن شكره، لأن شكره لا يزيد في سلطانه، وكفره لا ينقص من ملكه شيئا، وهو سبحانه المحمود على كل حال، كما قال تعالى: ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾، وكما قال سبحانه في الحديث القدسي: ( يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ) رواه مسلم.

و﴿ حميد ﴾ فعيل إن كان على معنى اسم الفاعل فمعناه: حامد، لأن الله تعالى يحمد أولياءه المؤمنين، وعباده المتقين، ويثني عليهم في الملأ الأعلى المكرَمين، وإن كان على معنى اسم المفعول فمعناه: محمود، فهو محمود على لسان كل موجود، بلسان المقال أو الحال كما

قال سبحانه: ﴿ وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ﴾، وذلك لأن وزن ( فعيل ) يصلح لاسم الفاعل واسم المفعول، والقرينة هي التي تعين معناه، فمثلا: سميع وبصير بمعنى: اسم الفاعل سامع ومُبْصِر، وجريح وقتيل بمعنى: اسم المفعول مجروح ومقتول.

## ( شُرُوعٌ فِيْ وَصَايَا لُقْمَانَ لابْنِهِ )

﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴾ أي واذكر أيُّها الرَّسول حين قال لقمان لابنه واعظا له، والموعظة هي: التذكير بأحكام الله تعالى ، مقرونا بالترغيب والترهيب، فالترغيب ليحمل النفوس على الفعل، والترهيب ليحملها على الكف. وخص ابنه بالموعظة لعظيم رحمته به، وشفقته عليه، ومحبته له.

## ( الْوَصِيَّةُ الأُوْلَى )

﴿ يا بُنَيَّ لا تشرك بالله ﴾ بدأ موعظته بأعظم الأمور وأخطرها، وهو الشرك بالله تعالى، فنهاه عنه لما له من أضرار عظيمة، ومفاسد كبيرة في الدنيا والآخرة، فهو أظلم الظلم، وأفظع الجُرم، وأقبح المعاصي، وأخطر الذنوب، كما قال تعالى: ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾، وقال تعالى: ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾، وقال تعالى: ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾، وقال تعالى: ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾، وسئل النبي ﷺ: ( أيُّ الذنب أعظم ؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك) متفق عليه.

والشرك بالله: هو صرف ما كان حقا خالصا لله تعالى لبعض خلقه، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والسجود، والطواف، والدعاء، والذبح، والنذر، والاستعاذة، والاستغاثة، ونحوها من العبادات. قال تعالى: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾، وقال تعالى: ﴿ فصلِّ لربِّك وانحر ﴾، وقال: ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾، وقال: ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ﴾،

وقال: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾، وقال: ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾، ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾.

## ( السَبَبُ فِيْ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ )

ثم بين السبب في نهيه عن الشرك فقال: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾؛ وإنما كان ظلما عظيما؛ لأنه وضع الشيء في غير موضعه الواجب له. ولما فيه من التسوية بين الخالق المالك الرازق المدبر ، ومن لا يخلق ولا يملك ولا يرزق ولا يدبر شيئا، بين الغني الكامل والفقير الناقص، فهل يوجد أعظم من هذا الظلم ؟ وأقبح من هذا الجرم، قال تعالى: ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾، وقال تعالى: ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ﴾، وقال: ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون ﴾، وقال: ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾، أي ألا تتقون الله جل وعلا فتوحدونه في الألوهية كما توحدونه في الربوبية.

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه ليس بذلك، ألا تسمعون لقول لقمان: ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾.

## ( الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيْدِ اللّهِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ )

والدعوة إلى توحيد الله جل وعلا، وعدم الإشراك به هي دعوة جميع الأنبياء، وكافة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فما من رسول إلا وقد قال لقومه: ﴿ يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط، وكذا بقيتهم، كما قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾، وقال: ﴿ وما

أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾، وقوله: ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾.

## ( الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَةُ )

وبعد أن ذكر ـ سبحانه ـ ما وصَّى به لقمان ابنه من شكر المنعم الحقيقي الأول، ونهاه عن الإشراك به، وذكر ما في الشرك من الشناعة والبشاعة، وضمن ذلك الأمر بتوحيد الله تعالى، الذي هو أعظم الحقوق وأجلها وأخطرها، أتبع ذلك ببيان حق الوالدين؛ لأنهما السبب بعد الله تعالى في وجود الإنسان في هذه الحياة.

فقال تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ﴾ أي أبيه وأمه، والوصية هي: العهد بالأمر المهم، ولما كان حق الأم أعظم من حق الأب نصَّ عليه، وبين سببه فقال: ﴿ حملته أمه وهنا على وهن ﴾ أي ضعفا على ضعف، ضعف الحمل، وضعف الوضع، ثم مشقة الرضاعة، وعناء التربية، ولهذا قال: ﴿ وفصاله في عامين ﴾ أي وفطامه من الرضاع بعد وضعه في سنتين، كما قال تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾، فهي تكابد في ولدها المشقة بعد المشقة، فلا غرابة أن يكون حقها مضاعفا على حق الأب، ولهذا لما سئل النبي ﷺ مَنْ أبَرُّ قال: ( أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب ) رواه أبو داود والترمذي [ حسن / صحيح الجامع ]، فجعل حق الأب واحدا، وحق الأم ثلاثا؛ لعظيم جهدها، وكبير مشقتها.

وفي الآية دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر، وذلك بضم هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾، فإذا كان الفصال في عامين بقى للحمل ستة أشهر.

ثم فسر هذه الوصية بقوله: ﴿ أن اشكر لي ﴾ وذلك بالاعتراف له ـ سبحانه ـ بالنعمة أولاً وآخِراً، قلبا وقالبا، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، وقدم حقه تعالى لأنه خالق كل مخلوق، فهو الذي أوجده وأعده وأمده بأسباب الحياة والبقاء، وأسبغ عليه النعمة ظاهرا وباطنا، ثم إليه مرجعه فينبئه بما قدم وأخَّر.

﴿ و ﴾ اشكر أيضا ﴿ لوالديك ﴾ ببرِهما والإحسان إليهما، اعترافا بحقهما، ورداً لبعض جميلهما، وذلك بالقول اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما وإجلالهما، والقيام بمؤونتهما، واجتناب الإساءة إليهما بالقول أو الفعل، كما قال تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾، وكثيرا ما يقرن الله تعالى حق الوالدين بحقه جل وعلا، كما في قوله: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾.

ثم بين السبب لوجوب الامتثال فقال: ﴿ إليَّ المصير ﴾ أي المرجع والمآب، لا إلى غيره، فيجازي كلاًّ بعمله من الشكر أو الكفر، ويسأله هل امتثل ما وصاه الله به أوْ لا ؟ كما قال تعالى: ﴿ إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم ﴾، وقال: ﴿ إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾، وقال: ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾.

## ( لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ فِيْ مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ )

وبعد أن ذكر سبحانه وصيته بالوالدين وأكَّد حقهما، ووجوب طاعتهما استثنى من ذلك حقوقه تعالى، فإنها مقدمة على حقوق الوالدين، ولهذا قال: ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ﴾ أي وإن اجتهدا في الطلب، وألحفا عليك بأن تشرك في عبادة الله تعالى شيئا من الأشياء، مما لا تعلم أنه شريك لله ﴿ فلا تطعهما ﴾ أي فيما أمراك به من الإشراك بي، لأنه ( لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف ) رواه البخاري .

والقيد في قوله: ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ صفة كاشفة، لبيان تعليل الحكم؛ لأنه قد عُلِم أنه ليس هناك شرك عليه أثارة من علم، كما قال تعالى: ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾، وقال تعالى: ﴿ إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾، فالقيد هنا كالقيد في قوله تعالى: ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ فليس المعنى: أنه يوجد من الآلهة غير الله من له

برهان، ولكن المعنى: فإنما حسابه عند ربه؛ لأنه لا برهان له به. إذا كان الوالدان لا يطاعان في معصية الله تعالى مع عظيم حقهما، وكبير قدرهما، فغيرهما من باب أولى وأحرى.

## ( وُجُوْبُ الإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا وَلَوْ أَمَرَا بِالشِّرْكِ )

ومع هذا لو قُدِّر أنهما أمرا بالإشراك فإن ذلك لا يسقط حقهما من البر بهما، والإحسان إليهما، ومن المعاشرة لهما بالمعروف، ولهذا قال: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ وهي المصاحبة التي يرتضيها الشرع، وتقتضيها المروءة والكرم في أمور الدنيا، وذلك بإطعامهما، وكسوتهما، وإسكانهما، وعيادتهما إذا مرضا، والرفق بهما، والاجتهاد في دعوتهما إلى الخير، والدعاء لهما بالهداية والتوفيق، وعدم جفائهما، والإغلاظ عليهما.

رُوِيَ أن هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما أسلمت حلَفَتْ أمي لا تأكلُ طعاما ولا تشربُ شرابا، فناشدتها أول يوم فأبتْ وصبرتْ، فلما كان الثاني ناشدتها فأبت، فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت، فقلت: والله لو كانت لك مائة نفس لخرجت قبل أن أودع ديني هذا، فلما رأت ذلك، وعرفت أني لست فاعلا أكلتْ.

ولما كان ذلك قد يجر إلى نوع من الوهن والمداهنة في الدين نفاه ـ تعالى ـ بقوله: ﴿ واتبع سبيل من أناب إلي ﴾ أي واسلك طريق ﴿ من أناب ﴾ أي رجع إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والإقبال عليه بفعل الطاعات، والأعمال الصالحات، والاجتهاد في ترك المعاصي والمحرمات، وأعظم ذلك تحقيق التوحيد والإخلاص فيه، واجتناب الشرك والحذر منه، صغيره وكبيره، ظاهره وباطنه.

﴿ ثم إليَّ مرجعكم ﴾ تعليل للأمر السابق، كقوله فيما تقدم : ﴿ إلي المصير ﴾، أي إليه وحده ـ لا إلى غيره ـ مرجع جميع الخلائق، صغيرها وكبيرها، عاقلها وبهيمها.

﴿ فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ في الحياة الدنيا من خير أو شر، ثم أجازيكم عليه، وهكذا حيث ورد الإخبار بأنه تعالى يعلم ما يعمله العباد، أو ينبئهم بما كانوا يعملون، فليس المقصود مجرد العلم بذلك أو الإخبار به، ولكنه مع المجازاة عليه، كما في قوله تعالى: ﴿ ولله

ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾.

## ( الْوَصِيَّةُ الثَّالِثَةُ )

ثم عاد إلى ذكر بقية وصايا لقمان لابنه ـ بعد أن نهى في مطلعها عن الشرك وأكده بالاعتراض الذي ذكره ـ فقال: ﴿ يا بُنَيَّ إنها إن تك ﴾ أي الحسنة أو السيئة، وأصلها (تكنْ) لكن حذفت منها النون تخفيفا ﴿ مثقال ﴾ أي وزن ﴿ حبة من خردل ﴾ وهي حبة صغيرة يضرب بها المثل في القلة ﴿ فتكن ﴾ هذه الحبة مع صغرها وقِلَّتها ﴿ في ﴾ أخفى مكان وأحرزه كجوف ﴿ صخرة ﴾ من الصخور ﴿ أو ﴾ تكن ﴿ في السموات أو في الأرض ﴾ أي حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي ﴿ يأتِ بِها الله ﴾ أي يُحضِرها ويحاسِب عليها ﴿ إن الله لطيف ﴾ أي ينفذ علمه وقدرته في كل شيء، ويأتي اللطيف أيضا بمعنى: الرؤوف الرحيم ﴿ خبير ﴾ يعلم كنهَ الأشياء وحقائقها مهما كانت، وحيث كانت، فلا يعسر عليه أمرها، كما في قوله تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾، وقوله: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾، وقوله: ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾.

## ( الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ )

﴿ يا بُنيَّ أقم الصلاة ﴾ أي ائْت بها تامة أركانها، وشروطها، وواجباتها، ومتممة، ومكملة بمستحباتها، ومن أعظم أمورها الخشوع فيها، الذي هو أول وصف امتدح الله به عباده المؤمنين فقال: ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾، وحقيقته: حضور القلب، وسكون الجوارح، فيعلم العبد أنه في مقابلة مع ربه تعالى، يذكره ويشكره، ويثني عليه الخير كله ويمجده، ويخاطبه ويدعوه، ويناجيه ويرجوه، فإذا فعل ذلك حقق الثمرة

المرجوة من الصلاة، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له.

## ( الْوَصِيَّةُ الخَامِسَةُ )

وبعد أن أمره بتكميل نفسه أرشده إلى تكميل غيره فقال: ﴿ وأمر بالمعروف ﴾ وهو كل ما أمر به الشرع على وجه الوجوب أو الاستحباب ﴿ وانْهَ عن المنكر ﴾ وهو كل ما نهى عنه الشرع على وجه التحريم أو الكراهة، وفي الآية دليل على عظيم قدر الصلاة، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه لا يكفي أحدهما عن الآخر، بل لا بد من اقترانهما، خلافا لما عليه بعض الجماعات القائمة على الترغيب دوماً وأبداً، دون التعرض للترهيب، والنهي عن المنكر.

واقتران الترغيب بالترهيب سنة إلهية، وعادة ربانية في كثير من الآيات، قال تعالى : ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾، وقال: ﴿ اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ﴾، وقال: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾.

## ( الْوَصِيَّةُ السَّادِسَةُ )

﴿ واصبر على ما أصابك ﴾ من مشقة على فعل الواجبات، وترك المحرمات، ومصائب القدر، ومن ذلك ما يصيبك في الدعوة إلى الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى، لأن الداعي إلى الحق معرض لإيصال الأذى إليه. ولهذا قرن سبحانه وتعالى بين الدعوة والصبر في مواضع، كما في قوله: ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾، وقوله: ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ ثم قوله: ﴿ ولربك فاصبر ﴾. وأصل الصبر هو حبس النفس على الشيء.

﴿ إن ذلك ﴾ أي الذي أوصيك به ﴿ من عزم الأمور ﴾ أي من عزائم الأمور، وهي الأمور الواجبة المقطوع بها، لا من الرخص التي يجوز فعلها وتركها. فالذي يقابل العزيمة

الرخصة، كما قال النبي ﷺ : ( إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ) رواه أحمد والبيهقي [ صحيح الجامع ].

## ( الْوَصِيَّةُ السَّابِعَةُ )

وبعد أن أرشده إلى هذه الأوامر أردفه بجملة من المناهي فقال:

﴿ ولا تصعِّر خدَّك للنَّاس ﴾ أي لا تُعرض عنهم بوجهك، إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارا منك لهم، واستكبارا عليهم، ولكن ألِن جانبك لهم، وأقبل عليهم، وابسط وجهك لهم، كما قال النبي ﷺ: (كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ) رواه الترمذي وغيره [ حسن / صحيح الجامع ] . وفي حديث : ( تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ) رواه الترمذي [ صحيح الجامع ] . وأصل ( الصَّعر ) داء يصيب الإبل فتلوي منه أعناقها .

## ( الْوَصِيَّةُ الثَّامِنَةُ )

﴿ ولا تمش في الأرض مرحا ﴾ أي خيلاءَ متكبراً ومتبختراً، ولكن امشِ هوناً متواضعاً، كما قال تعالى: ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾.

ثم ذكر علة هذا النهي بقوله: ﴿ إن الله لا يحب ﴾ أي يكره ﴿كل مختال ﴾ أي معجب في نفسه ﴿ فخور ﴾ أي على غيره، كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ ولا تمشِ في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ أي أنك مهما تعاظمت وتعاليت فإنك أحقر من أن تخرق الأرض بتثاقلك، وأن تبلغ الجبال طولا بتعاليك، فعلام تتكبر أيها المخلوق الضعيف ؟ وقد علم أن أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة، فلا يليق بك ذلك، وهي من الأمور التي يكرهها الله تعالى، ولهذا قال: ﴿ كل ذلك كان سيِّئه عند ربك مكروها ﴾، وفي الآية دليل على إثبات صفة الكراهية لله تعالى، ومنه قول النبي ﷺ : ( إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال ) متفق عليه.

## ( الْوَصِيَّةُ التَّاسِعَةُ )

﴿ واقصد في مشيك ﴾ أي اقتصد فيه، واجعله وسطا، بين الدبيب والإسراع، فليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، ولكن امشِ وسطا هونا، بلا تصنع ولا مراء للخلق بإظهار التكبر أو التواضع.

## ( الْوَصِيَّةُ العَاشِرَةُ )

﴿ واغضض من صوتك ﴾ أي اخفض منه، ولا ترفعه زيادة على قدر الحاجة، لأنه أوقر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع وفهمه، والمبالغة في رفعه بدون حاجة تقبح عند الناس، وينكرونه إنكارهم صوت الحمير لارتفاعه، كما قال: ﴿ إن أنكر الأصوات ﴾ أي أشدها نكارة وأوحشها، وأقبحها وأبشعها ﴿ لصوت الحمير ﴾ وقد علم أن الحمار مضرب مثل في الذم، وفي ذلك ما لا يخفى من الذم، وتهجين رفع الصوت وتقبيحه، والترغيب عنه، ولهذا لما ذم الله اليهود شبههم بالحمار فقال: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾، وقال النبي ﷺ: ( أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار ) متفق عليه.

**وَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْوَصَايَا عَلَى فَوَائِدَ جَلِيْلَةٍ نُجْمِلُ بَعْضَهَا فِيْ الآتِيْ:**

- منها: وجوب عناية الآباء بالأولاد، فالأب كما أنه مسؤول عن مؤونة أهله بالمسكن والمطعم، والمشرب والملبس، مسؤول أيضا عن تربية أهله وأولاده التربية التي تعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ) رواه البخاري، وأمور الآخرة أولى وأقدم لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾، وقوله: ﴿ وأْمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾، وقوله: ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾، وقول النبي ﷺ: ( مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء

سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع ) رواه أبو داود [ صحيح / الإرواء ]، فتربية الأولاد واجب شرعي على الآباء والأمهات.

- ومنها: أن الوصية ينبغي أن تكون جامعة لما يحتاج إليه، فوصية ( لقمان ) هنا شملت أمورَ العقيدةِ والعبادات والمعاملات والأخلاق. فالعقيدة في قوله تعالى: ﴿ لا تشرك بالله ﴾، والعبادة في قوله: ﴿ أقم الصلاة وأْمر بالمعروف وانه عن المنكر ﴾، والمعاملة في قوله: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ﴾، والأخلاق في قوله: ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ﴾، وقوله: ﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك ﴾.
- ومنها: استعمال الرفق واللين، وحسن الخطاب في تعليم العلم، والدعوة إلى الله تعالى، لأن الغرض هو قبول الوصية والنصيحة والعلم، فتنظر في ذلك أحسن الوسائل وأيسرها، ولهذا تلطف لقمان بابنه في موعظته، حيث ناداه مرة بعد مرة بقوله: ﴿ يا بُنَيَّ ﴾، ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من إظهار المحبة والحرص على نفع المنصوح، بخلاف أهل الغلظة والفظاظة، الذين لا يراعون هذه الآداب، لذلك لا ينالون بغيتهم ومطلوبهم غالبا، وقد أشار تعالى إلى هذا الأدب في قوله لموسى وهارون: ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾، وقوله: ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا﴾، وقال النبي ﷺ: ( إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه ) رواه مسلم، وقال: ( إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه ) رواه مسلم، وقال ﷺ: ( إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ) متفق عليه، والنصوص في هذا المعنى كثيرة .
- ومنها: وجوب تقرير التوحيد بأنواعه الثلاثة: ( الربوبية ) وهو إفراد الله في الخلق والملك والرزق والتدبير لهذه المخلوقات، و( الألوهية ) وهو إفراده جل وعلا في العبادة، وغاية الذل، ومنتهى الخضوع، و( الأسماء والصفات ) وهو إثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به سبحانه، من غير تحريف ولا تعطيل،

ولا تكييف ولا تمثيل، والعمل بمقتضى هذا التوحيد، والدعوة إليه، وبيان ماله من المحاسن والفضائل والآثار الحميدة في الدنيا والآخرة.

- ومنها: بيان خطر الشرك، ووجوب التحذير منه، وبيان سوء عاقبته في الحال والمآل.
- ومنها: عظيم حق الوالدين، لذا أمر الله به في عدة آيات عقب حقه تعالى مباشرة، مما يدل على عظيم شأنه، ووجوب العناية به.
- ومنها: أن حق الأم أعظم من حق الأب، ولهذا قدمه وأشار إلى سببه. فيجب برهما، والإحسان إليهما، ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف.
- ومنها: أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن ذلك الوالدان إذا أمرا بمعصية فإنهما لا يطاعان، ومن دونهما من باب أولى.
- ومنها: وجوب ترتيب الحقوق بحسب أولويتها، فالحقوق الواجبة على الإنسان ليست في درجة واحدة، بل بعضها أولى من بعض، فترتب هذه الحقوق على حسب أهميتها وأولويتها، فحق الله أوجب الحقوق، كما قال تعالى: ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾، وقال: ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾، ويليه حق الوالدين، وحق الأم أوجب من حق الأب، كما أشار ـ تعالى ـ إلى تقديمه على حق الأب بقوله: ﴿ حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ﴾، ونص النبي ﷺ على أنه ثلاثة أضعاف حق الأب.
- ومنها: الحث على مراقبة الله تعالى فيما يأتي به العبد ويذر، في حال العلن والسر، وهو مقام الإحسان، أعلى مراتب الدين، الذي قال فيه النبي ﷺ: ( الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) رواه مسلم، وقال: ( اتق الله حيثما، كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن ) رواه أبو داود والترمذي [ حسن / صحيح الجامع ] . فينبغي استشعار ذلك المقام، وهو مقام المراقبة لله تعالى، وزرعه في قلوب العباد وتعليمه للصغار والكبار، ليحملهم على الاستقامة، فيحثهم على الطاعة، ويزجرهم عن المعصية، وشواهد ذلك من القرآن الكريم كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا

عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾، وقوله: ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾، وقوله: ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾، وقوله: ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ﴾، وأجمع الآيات في بيان سعة علم الله، وعموم إحاطته بجميع الأشياء، قوله تعالى: ﴿ إن الله بكل شيء عليم﴾، وقوله: ﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾.

- ومنها: بيان عظيم قوة الله تعالى، وكمال قدرته، ودقة علمه، وواسع خبرته، حيث يأتي بأعمال العباد من حسنات وسيئات، ولو كانت أمثال الذر، وحبات الخردل، وما كان أكبر منها فهو أولى، كما قال تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾، وقال تعالى: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾، وقال تعالى: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾.
- ومنها: وجوب العناية بأمر الصلاة، كيف لا وهي عمود الإسلام، والصلة بين العبد وربه، من قطعها قطعه الله، ومن حفظها حفظه الله، ولهذا قال فيها النبي ﷺ: ( العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر ) رواه الترمذي والنسائي [ صحيح الجامع ]، وقال: ( بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ) رواه مسلم، وفي حديث: ( بين الكفر والإيمان ترك الصلاة ) رواه الترمذي [ صحيح الجامع ]، وقال: ( من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف)

رواه أحمد وغيره [ إسناده جيد / المشكاة ٥٧٨]، ومن المحافظة عليها وجوب أدائها بأركانها، وشروطها، وواجباتها، وخشوعها، وأدائها في أوقاتها، وينبغي تكميلها بمستحباتها، ومما يجب فيها أيضا أداؤها حيث ينادى بِها، فتؤدَّى في بيوت الله مع جماعة المسلمين، وهذا في حق الرجال غير المعذورين، ولهذا أمر الله به بالجماعة حال القتال والخوف، فكيف لا تجب حال السلم والأمن ؟ ولما استأذن رجل أعمى لا يجد من يقوده للمسجد قال له النبي ﷺ: ( هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال: نعم. قال: فأجب ) رواه مسلم، وقال ﷺ: ( والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم ) متفق عليه، وقال ﷺ: ( من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر ) رواه ابن ماجه [ صحيح الجامع ]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ( من سرَّه أن يلقى الله تعالى مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم كما يصلي هذا المتخلف في بيته؛ لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم؛ لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف ) رواه مسلم.

- ومنها: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، حث عليها القرآن والسنة في آيات كثيرة، وأحاديث عديدة، كقوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾، بل جعلها الله تعالى أول الصفات التي استحقت بها هذه الأمة الخيرية والفضيلة، كما قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾، وجعل ترك هذه الفريضة من أسباب حلول لعنة الله تعالى، كما قال: ﴿ لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وأمر النبي ﷺ بها

كل مستطيع رأى منكرا، وجعل ذلك علامة على قوة الإيمان أو ضعفه، فقال: ( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ) رواه مسلم، وجعل ترك ذلك من أسباب نزول عقوبة الله، ومن أسباب عدم إجابة الدعاء فقال: ( والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعُنَّه فلا يستجيب لكم) رواه الترمذي [ صحيح الجامع ]، وجعل القيام بذلك من أعظم أسباب نجاة الناس في هذه الحياة الدنيا، والتفريط فيه من أعظم أسباب هلاكهم، وفساد حياتهم، فقال: ( مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فلو أنَّهم تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، ولو أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ) رواه البخاري.

- ومنها: أهمية التذكير بالمصير الأخروي؛ لأنه من أعظم الأسباب الحاملة على الاستقامة في هذه الحياة الدنيا، فما أكثر الآيات التي تؤكد أن مرجع الخلائق ومصيرها وإيابها إلى الله تعالى، ولهذا قال النبي ﷺ: ( أكثروا ذكر هاذم اللذات، الموت رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه [ صحيح الجامع ].
- ومنها: وجوب الاستعداد لهذا اليوم بمحاسبة النفس وإقامتها على شرع الله تعالى، قبل أن يفاجئها هذا اليوم فـ﴿ تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ﴾، أو تقول: ﴿ رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ﴾.
- ومنها: وجوب الصبر، والآيات والأحاديث في مشروعيته، والحث عليه كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾، وقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا

ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾، وقوله: ﴿ والصابرين على ما أصابَهم ﴾، وقوله: ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ﴾، وقوله: ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور ﴾، وقوله: ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾، وقوله: ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾، وقوله: ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾، وقوله: ﴿ فاصبر صبرا جميلا ﴾، وهو ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقداره المؤلمة. كما قال تعالى: ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾، ومما جاء في فضله أيضا قوله تعالى: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾، وقول النبي ﷺ: ( والصبر ضياء ) رواه مسلم، وقوله: ( ومن يتصبر يصبره الله ) متفق عليه، وقوله: ( عجبا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرا له ) رواه مسلم، وقوله: ( ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة ) رواه البخاري، وقوله: ( إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة ) رواه البخاري.

- ومنها: أن الأمور تنقسم إلى قسمين: عزائم يجب أداؤها، والقيام بها، ولا يجوز التهاون فيها، ورُخَصٌ فيها سهولة ويسْر وسعة يجوز فعلها وتركها. وأن إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على ذلك هي من الأمور الواجبة المتحتمة، وليست من الرخص التي يجوز تركها.
- ومنها: مشروعية التواضع، وتحريم الفخر والخيلاء، وأن من التواضع الإقبال على المتكلم، والمشي على الأرض هونا، وأن من الفخر تصعير الخد؛ كبرا واحتقارا للغير، والمشي في الأرض على وجه البطر والمرح. ومما جاء في مدح التواضع قوله تعالى: ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾، وقوله: ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾، وقوله: ﴿ أذلة

على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾، وقول النبي ﷺ: ( إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد ) رواه مسلم، وقوله: ( وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ) رواه مسلم، ومما جاء في ذم الكبر وتحريمه قوله تعالى: ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ ، ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾، ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ إلى أن قال: ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾، وقول النبي ﷺ: ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ) رواه مسلم، وقال: ( ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مستكبر ) متفق عليه، وقال: ( بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة ) متفق عليه، وقال الله عز وجل: ( العز إزاري، والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذبته ) رواه مسلم.

- ومنها مراعاة الآداب الفاضلة، والأخلاق العالية، ومن ذلك خفض الصوت عند مخاطبة الناس، وعدم رفعه زيادة على الحاجة.
- ومنها: النهي عن التشبه بالحمار؛ لأنه مثل في الذَّمِّ والسوء، وقد قال النبي ﷺ: (ليس لنا مثل السوء) رواه البخاري، ومثله الكلب، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: [ يُنهى الْمُسلم عن التشبه بكل ناقص ]، من حيوان، أو جنيٍّ، أو إنسان، كالفاسق والكافر مثلاً. والله تعالى اعلم

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى اله وصحبه أجمعين

تمت